

## معرض

متحف، سرسق، يكّرّم معلّم فنّ الكاريكاتور  
بيار صادق... الشاهد الملك

قبل خمس سنوات، انطفاً بيار صادق (1938 - 2013)، تاركا ارشيفا كاريكاتوريا ضخما أرّخ فيه تاريخ لبنان السياسي على مدى اكثر من خمسين عاما. من "النهار" التي امضى فيها الجزء الاكبر من مسيرته وبنى مجده معها، مرورا بصحف عدة، وصولا الى قناتي "ال. بي. سي"، و"المستقبل" وغيرهما، دخل بيار صادق التاريخ بوصفه احد مؤسسي الفن الكاريكاتوري المعاصر، واول فنان يدخل الكاريكاتور السياسي اليومي المتحرك على الشاشة الصغيرة



الرسام الكاريكاتوري الراحل بيار صادق وابنته غادة صادق ابيلا.

الاهم ان الريشة اللاذعة لبيار صادق كانت تحمل هموم المواطن اللبناني ونبضه، حتى استحالت رسمته الشهيرة للبناني بشرواله التقليدي دمغة وامضاء خاصين به. الملفت ان هذه الاعمال كان لها تأثير سياسي في عز نهضة "النهار" كجريدة واعده، وحاملة لواء التجديد، والا لما تعرّض صادق للمنع والتهديد كما تقول ابنته رئيسة "مؤسسة بيار صادق" غادة صادق ابيلا في مقابلتها مع "الامن العام".

اليوم، توجه هذه المؤسسة تحية الى رسام الكاريكاتور المثقف، من خلال معرض فريد واستثنائي على مستوى المنطقة. معرض "بيار يحاكي التاريخ" الذي يحتضنه متحف سرسق يضم اعمال صادق المنشورة في الصحف والتلفزيون، الى جانب اخرى تنشر للمرة الاولى بعدما منعها الرقيب وقتها. اعمال يمكن اسقاطها على الراهن، بعدما احتفظت بطزاجتها الفنية والفكرية.

■ لماذا اخترتم "بيار صادق يحاكي التاريخ" عنوانا للمعرض؟

□ في نيسان، تكون قد مرّت خمس سنوات على رحيل بيار صادق. قبل الحديث عن عنوان المعرض، ارغب في الإشارة الى انه اول معرض فريد من نوعه فعلا، حتى ان بيار صادق لم يقدّم معرضا في حياته يقدم الكاريكاتور السياسي اليومي الذي كان يُنشر في الصحف وشاشات التلفزة. كما ان فرادته تكمن في حريته. فليس هناك عاصمة في الدول العربية تحتل معرضا مماثلا لجهة سقف الحرية العالي. اخترنا هذا العنوان لانه طوال مسيرة بيار صادق المهنية التي تربو على اكثر من خمسين سنة، أرّخ كل تاريخ لبنان الحديث. فاذا تابع المرء رسمته

الاولى حتى الاخرة في عام 2013، يستطيع ان يفهم ما الذي حدث في لبنان والبلاد العربية والاحداث الكبيرة في العالم. "بيار يحاكي التاريخ" وما زال يحاكيه حتى اليوم. حالما ننشر رسمة له على صفحة "مؤسسة بيار صادق" على انستغرام مثلا، يشعر الناظر اليها انها راهنة وطازجة كأنها انجزت للتو. فهو كان متجددا وعصريا ورياديا، ومن هنا، استخدمنا صيغة المضارع في العنوان.

■ يعتبر صادق من مؤسسي الفن الكاريكاتوري المعاصر. هلا اخترنا عن خصوصية هذه المدرسة التي اسسها؟

□ بدأ بيار صادق الرسم في عمر صغير. حين التحق بجامعة "البا" (الأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة) التي كان مقرها في ساحة البرج، لم يكن يكتب كلمة تكون هي الكاريكاتور. اشتغل

بخريطة لبنان واستعمل الحرف والكلمة، والاغنية في الكاريكاتور. في عام 1986، كان هو الاول الذي ابتكر الكاريكاتور المتحرك على التلفزيون. يومها اجرت معه شاشة "سي. ان. ان" مقابلة نظرا الى فرادة موهبته، وكان يقدم رسمة صباحا للصحيفة، واخرى مساء على شاشة التلفزيون. كان متجددا وهدفه بلوغ مستوى اعلى في فن الكاريكاتور. لذا فمدرسة بيار صادق ليست مدرسة تعلم، لان ما وصل اليه ليس فقط بسبب موهبته، بل ايضا لانه مثقف ومطلع على كل التطورات في العالم، ولانه قارئ نهم لكل الصحف ووكالات الاخبار. كان يفكر في الكاريكاتور كل الوقت وفي كيفية تجديده.

■ كيف عايش صادق الحياة السياسية اللبنانية من خلال ريشته؟

□ صحيح انه عايش الحياة السياسية، لكنه ايضا كان في قلب هذه الحياة. يكفي ما قاله السياسيون في الشهادات التي تعرضها ايضا في احدى غرف المعرض. مثلا، الوزير مروان حمادة كان يقول ان "النهار" وكاريكاتور بيار صادق كانا قادرين على اسقاط حكومة، او الاتيان باخرى. اي ان بيار صادق بكاريكاتوره كان عاموداً مهما في المجتمع والسياسة اللبنانيين.

■ مرحلة جريدة "النهار" في بيروت السبعينات وسط مناخ الحريات والابداع والثقافة، ما الذي منحته لبيار صادق وما الذي اعطاها هو؟

□ كان بيار صادق يقول ان اكبر جامعة بالنسبة اليه، كانت جامعة جريدة "النهار". في السبعينات، كانت "النهار" تضم كل التيارات السياسية على حد تعبيره، من الحزب القومي السوري، والاشتراكي، والكتائب، والحلف، والنهج... هؤلاء المحاربون كانوا كلهم في "النهار"، وكانوا يزورونه في مكتبه الذي يقع قبالة مكتب ميشال ابووجود. كان يكتب العمود الثامن، وبيار ينجز الكاريكاتور. كان يقول دوما انه اكثر مكان علمه هو "النهار". حين التحق بها في الستينات، كان يبلغ 22 عاما. لذا، ف"النهار" اعطته وعلمته كثيرا، وهو ممن ساهموا في وضع "النهار" في مصاف اهم الصحف في لبنان بفضل كاريكاتوره، وايضا عمود ميشال ابو جودة، وغسان تويني... هؤلاء اعطوا زخما ◀

## نقطة على السطر

## السخرية فنّ المجتمعات الحرّة

يلو سقف النقد في المجتمعات المنفتحة، والانظمة السياسية التي تقوم على اسس الحرية والديموقراطية والحق في الاختلاف. ينخفض هذا السقف نفسه كلما ضاقت مساحة الحرية في دولة من الدول، وعم الاستبداد والفكر الواحد، والاعلام السلطوي الذي لا وظيفة له سوى الترويج للسلطة. تمجيد الحاكم... في الانظمة الشمولية ليس النقد ممنوعا فحسب، في الحيز العام، وفوق المنابر، وفي الاعلام تحديدا، بل ان ان وظيفة الاعلام هي البروباغندا ونقل الخطاب الرسمي للسلطة المهيمنة. هكذا تغيب الحقيقة، ولا تصل المعلومات، ويصبح الاعلام مجرد حيوان اليف في مآخذ الحكام وصالوناتهم، ينقل وقائع حياتهم السعيدة، وخبرهم الذي يفيض على الشعب والامة!

لكن الحرية الممنوعة لا تمنع التعبير، بل تستفز الخيال، وتحفز على الابتكار والابداع. هكذا اخترع عبد الله بن المقفع، في بغداد القرن الثامن للميلاد، قصص "كليلا ودمنة" التي تعتبر حتى اليوم من عيون الاديبين العربي والعالمية. وقبل الشاعر الفرنسي جان دو لافونتين بتسعة قرون، وضع الخطاب الفلسفي والسياسي النقدي على لسان الحيوانات. كانت هذه التورية وسيلته السحرية في ايصال الكلام الممنوع، في زمن الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور. لعل اكثر الفنون تعبيراً عن درجة الحرية والديموقراطية، في عصر من العصور، فن الكاريكاتور، او الرسم السياسي النقدي، الساخر، الذي يعلق بأسلوب الهزل والكوميديا والهجاء، على العيوب والاطع والمواقف والسياسات والقرارات الصادرة عن حكومات وزعماء ورؤساء ووزراء وحكام وشخصيات عامة. تصبح هذه الشخصيات بلا حصانة، تحت ريشة الرسام الساخر، الذي يصورها كما يطيب له، ويقولها ما يريد. يفعل ذلك مضخما العيوب في الشكل والمظهر، وكذلك في الكلام الذي يهدف الى تسليط الضوء على مفارقات واخطاء، او اضحاك الناس من موقف سياسي او شخصي معين. هكذا يلعب الكاريكاتور دورا فاعل في الحياة السياسية والفكرية لمجتمع معين. من المفيد ان نتذكر مثلا، كيف ان فنانا كاريكاتوريا مثل دوميه، كان لرسومه دور فاعل خلال الثورة الفرنسية.

قليلة هي العواصم العربية التي اتسع صدرها لفن الكاريكاتور. هناك القاهرة طبعا، حيث ازدهر هذا الفن على يد معلمين من امثال احمد حجازي وبهجت عثمان ومحبي الدين اللباد ومصطفى حسين وصلاح جاهين. لكن بيروت كانت بلا شك منذ الاستقلال واحة الحريات ومعقل فن الكاريكاتور الذي واكب ازدهار صناعة الصحافة وصعد مع النهضة الاعلامية، وانتشار الصحف والمجلات، وبلغ اوجه فنيا وسياسيا في منتصف السبعينات. تكثر الاسماء المبدعة في هذا المجال، من محمود كحيل الى ستافرو جبرا، لكن يبقى اسم بيار صادق هو العلامة التي تقترن بفن الكاريكاتور في لبنان. لقد اختبر حرية الاعلام الى اقصى حدود، وجدد في الاسلوب، ولم يرحم زعيما او رئيسا او وزيرا. ترك لنا الوف الرسوم التي تمتد على عقود لتؤرخ للحياة السياسية في لبنان النصف الثاني من القرن العشرين، تماما كما تعود الى رسوم دوميه لتتعرف الى الحياة الثقافية والفكرية والسياسية في القرن التاسع عشر في فرنسا.

هذه الايام تستعيد بيروت بيار صادق في "متحف سرسق"، وتنتلح نحن الى ابداعات الجيل الجديد لئلا يبقى معلم فن النقد والسخرية في لبنان بلا ورثة.

سمير مراد

عنه انه قومي سوري. عندما دخل جريدة "العمل" قالوا عنه كتابيا. عندما التحق بقناة lbc، قالوا عنه قواتيا. عندما دخل جريدة "المستقبل"، قالوا عنه حريريا. يضيف في هذه الشهادات انه صديق كل هؤلاء، وهو حر في انتقاد كل هؤلاء لان بيار صادق لم يكن يوما حزبيا. كان لبنانيا فقط. وهو يقول في احدي الشهادات انه لبناني في الصميم، وقد عاش لبنان في قلبه وضميره.

■ عرّفنا بـ"مؤسسة بيار صادق"؟ ما الذي تفعله لابقاء اعماله تحت الضوء وتعريف الجيل الجديد بالمدرسة الفنية التي ارساها؟ □ انطلقت هذه المؤسسة بعد عام من وفاة بيار. كنت ناقشت هذا الموضوع معه قبل وفاته، وهو تحمس لهذه الفكرة. هدف هذه المؤسسة هو الثقافة وحماية ارث بيار صادق وإيصاله الى الاجيال الجديدة. نحن بدأنا عملية الارشفة من العام الماضي مع مركز "فينيكس" في جامعة الروح القدس الكسليك. جمعنا عقد يقوم بموجبه المركز بحفظ ارشيف بيار صادق. بعد ثلاث سنوات، سيطلق موقع الكتروني مخصص لارث بيار الصادق متاح لكل مهتم. كما تريد المؤسسة مد جسور تواصل مع الجيل الجديد الذي لا يعرف ربما ارث بيار صادق. من هنا، ارتأينا استحداث "جائزة ريشة بيار" للطلاب الجامعيين تمنح لطلاب الفنون في كل جامعات لبنان. نحن كمؤسسة بيار صادق، نجول كل سنة على كل الجامعات التي تحوي قسما للفنون، ونعرّف بالكاريكاتور وفن بيار صادق، ونشترط ان تركز الرسوم المقدمة الينا على احداث لبنانية. بهذه الطريقة يمكننا التواصل مع الطلاب وتعريفهم ببيار صادق. كما اصدرنا طباعا بريديا تذكارية لبيار صادق بالتعاون مع وزارة الاتصالات عام 2015. هناك شارع في الاشرفية يحمل اسمه، وتمثال نصفي له في جامعة اللوزية. الى جانب ذلك، تقدم المؤسسة ندوات كثيرة في الجامعات حوله. هذه السنة ايضا، دعيت المؤسسة الى المشاركة في البينالي الذي يقام في الشهر الحالي في المكتبة الوطنية في فرنسا للحديث عن كاريكاتور بيار صادق ووضعه في العالم العربي.

س. م



## ” خلال الحرب صار كاريكاتوره ينقل معاناة الناس والعنف والقتل “

■ اشتغلوا معه اكانوا فنانيين او اعلاميين او نحائين او مؤلفي موسيقى... ضمن هذه الشهادات، ترد شهادة الرئيس الشهيد رفيق الحريري، والرئيس الراحل الياس الهراوي، والرئيس الراحل عمر كرامي، والسفير غسان تويني وغيرهم. في احدي المقابلات ايضا، يرى الزائر بيار صادق وهو يقول انه دخل "النهار"، فقالوا

موافق"، او "تمنع من النشر" او تشتت اشياء لنشرها. ما يعني ان تدخل الرقابة في هذه الامور يبرهن كم ان الكاريكاتور يستطيع التأثير في الناس ويضع اصبعه على الجرح. هذا القسم اردنا عرضه لتبيان كم ان هذا الكاريكاتور السياسي مهم وفعال في المجتمع الذي يعيش فيه.

■ يتضمن المعرض "غرفة شهادات"، هلا اخبرتنا عنها؟ □ ارتأينا ان يسمع الزائر ما قاله السياسيون عن بيار الصادق، الى جانب مقتطفات من مقابلات اجرتها معه بعض القنوات والمنابر حول رأيه في الكاريكاتور وغيرها من الامور. كما ان هناك شهادات لاشخاص عاصروا بيار او



رسوماته في متحف سرسق.



رسومات اخرى.

من شاشات التلفزة. في المجموع، يضم المعرض 700 رسمة كاريكاتور تشكل فقط 2% من ارشيف بيار صادق وتغطي من اوائل الستينات حتى عام 2013.

■ اخبرنا عن قسم في المعرض مخصص لاعمال لم تنشر قبلا بسبب عدم موافقة الرقابة في لبنان عليها؟

□ كما نعلم، كانت هناك احيانا رقابة عسكرية تمنع نشر كاريكاتور له او يطلب منه في الجريدة تغيير كلمة معينة، او حذف اخرى، لكن بيار كان يرفض ذلك. خلال ارشفة اعماله، وقعنا على رسومات تقارب موضوع الحريات والرقابة، ورأينا على ظهر هذه الرسومات، ان الرقابة شطبتها بالاحمر مع كلمات مثل "غير

## ” رسم كاريكاتوري بريشته كان قادرا على اسقاط حكومة “

من الفترة التي دخل فيها صادق مسيرة الرسم في اوائل الستينيات وغطينا العهود، وما مرّ فيه البلد من مشاكل وحروب، الى جانب احداث كبيرة حصلت في البلدان العربية المهمة، وفي العالم. كما غطينا الشخصيات التي مرت في تاريخ البلد. طبعاً، لا يمكن نشرها كلها. لكن اخترنا 350 رسمة من الصحف، و350 اخرى

■ للجريدة، والكاريكاتور كان مهما جدا وفرض مكانته في المشهد السياسي، حتى بات الناس يشتركون "النهار" بسبب الكاريكاتور.

■ كيف تأثرت اعمال بيار صادق بمرحلتني ما قبل الحرب وبعدها؟

□ اذا زرنا المعرض الان نستطيع رؤية كيف كان الكاريكاتور قبل الحرب وبعدها. من الناحية التقنية، حين بدأ بيار الرسم في الستينات، كان لا يزال شابا صغيرا، اي مبتدئا. كان الكاريكاتور عنده يتميز بكثرة الخطوط والرسم الدقيق والتفاصيل. من الناحية السياسية، كان غارقا في السياسة المحلية مع حضور السياسة العربية الخليجية. ولا ننسى هنا انه قبل الحرب في الستينات والسبعينات، كانت هناك الحرب الباردة، والرئيس جمال عبد الناصر، وزخم وقوة مصر، وكان عندنا في لبنان المكتب الثاني، وايام شارل حلو وازدواجية الحكم عنده. كان صادق مأخوذا جدا بهذه الامور. لكن في الفترة الواقعة ما بين هذه المرحلة والحرب اللبنانية، اضيف عنصر جديد الى كاريكاتور صادق. في اوائل السبعينات، دخل عنصر الوجود الفلسطيني المسلح في الكاريكاتور، وازدادت المناكفات بين السياسيين، وهذا ما لم يكن موجودا قبلا. مع اندلاع الحرب وعدم استطاعة صادق الذهاب الى جريدة "النهار" بسبب محاولات سابقة لخطفه عام 1975، وانقسام بيروت الى شطرين، التحق بجريدة "العمل". هنا، عكست رسوماته العنف الحاصل في الحرب من حصار الاشرفية عام 1978، والمخيمات الفلسطينية وكل هذه الاحداث، مع دخول قوات الردع السوري طرفا في الحرب. هكذا، صار كاريكاتور بيار صادق في تلك الفترة ينقل معاناة الناس والعنف والقتل والدم الكثير المراق. ففنان الكاريكاتور ينقل الواقع الذي يعيش فيه المجتمع.

■ اخبرنا عن المعرض الحالي؟ ما الذي يضمه والفترة التي يغطيها؟

□ كما ذكرت هذا المعرض هو الاول من نوعه في لبنان والعالم العربي. ترك بيار صادق ارشيفا كناية عن 30 الف رسمة بين جرائد ومجلات وشاشات تلفزة ولوحات واغلفة كتب. لا يمكن عرض هذا الكم الكبير من الاعمال. لذا، اخذنا